القنص والصيد قديماً وحديثاً

الصيد عند العرب القدماء

تأتي كلمة الصيد غالباً ملازمة ومرادفة لكلمة القنص، بل كثيراً ما تعطف إحداهما على الأخرى، فيقال: الصيد والقنص، أو القنص والصيد، علماً بأن من العرب، قديماً وحديثاً، من يفرّق بين معنى ومدلول كل منهما، خصوصاً أهل البادية الذين يستعملون كلمة القنص أو المِقناص في أحاديثهم ومجالسهم، ولا يستعملون كلمة الصيد إلا نادراً، إذ يغلب أن يستعملها الحضر. وهناك كثير من الناس يرى أن لا فرق في الإيحاء أو المدلول، بين كلمتي الصيد والقنص، وأنهما بمعنى واحد.

جاء في لسان العرب «تقول: صاده واصطاده، أي كسبه وأحرزه». ولعل الكسب أو الإحراز هنا يأتي عفواً أو بجهد. كما جاء في اللسان: تقول: اقتنصه أو اقتنص الفرصة، أي إنه أحرز ما يريد من الطرائد في الوقت المناسب. وهذا يدل على أن القنص هو عملية الصيد التي لها وقت تجب مراعاته، أما الصيد فهو الطرائد أي حصيلة عملية القنص.

ويبدو أن كلمة الصيد أوسع استعمالاً، وأشمل معنى من كلمة القنص، التي تنطوي على الاهتمام والمتابعة والحركة وتحديد الوقت المناسب. ومن هنا فالصيد يكون في أي وقت، ويكون في البر والبحر، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿أُحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ (المائدة: ٦)، ولم ترد في القرآن الكريم كلمة القنص، كما جاء في اللسان «ولا يقال للشيء صيد حتى يكون ممتنعاً حلالاً لا مالك له».

وقد ورد لفظ الصيد كثيراً في الشعر العربي، بما يوحي أن الإنسان يصيد، وكذلك الحيوان، يقول المتنبّي:

ومن يجعل الضرغام صيداً لبازه
تصيَّدَه الضرغام فيما تصيَّدا

وقال آخر:

تكاثرت الظباء على خراش
فما يدري خراش ما يصيد

ومن جهة أخرى وردت كلمة القنص والقنيص في الشعر العربي. قال المتنبي:

وشر ما قنصته راحتي قنصٌ
شهبُ البُزاةِ سواءٌ فيه والرخَمُ

وقال الأخطل:

ولقد غدوت إلى القنيص بنهدةٍ
عند البديهة سهوة القذفان

كما وردت كلمة المقناص، أي القنص، في الشعر النبطي، قال الشاعر:

واليا لفونا من المقناص زعّالِ
أحد مدح بندقه واحد يعذربها

وكلمة الصيد، عند العرب حاضرة وبادية، تعني المبتغى والمطلب، وفيها معنى الكسب والحصول على الغذاء والزاد. وقد يكون الصيد عفواً أو سهلاً كأن تنصب فخاً وتنصرف عنه ثم تعود إليه فتجد فيه صيداً. وقد يخرج الصائد إلى الحقول القريبة من مساكن الحضر فيصيد ويرجع في وقت قصير، خلافاً للقانص الذي يذهب إلى البر (الصحراء)، غالباً في موسم محدد، ومع مجموعة من الناس، ويبقى في البر أياماً بهدف القنص، بعد استعداد مسبق لمثل هذه الرحلة. كما أن الخروج إلى القنص يحتاج إلى أُناس أقوياء للمطاردة والقنص، فإضافة إلى أنه يمارس من أجل سد الحاجة إلى اللحم والطعام، فهو يمارس رياضة وترفاً، خاصة في الوقت الحاضر. فهناك هواة القنص من الأمراء والأثرياء من يذهبون للقنص في داخل الصحراء، ومنهم من يذهب للقنص في أمكنة بعيدة أخرى يتوافر فيها الصيد، مثل أفريقيا وخصوصاً السودان. وليس للصائد صفات محددة من ناحية المهارة، ولكن القنّاص الماهر هو الدقيق في الرمي والتصويب.

ولعل البادية حين يطلقون كلمة القنص، يريدون بها التفريق بين الصيد، الذي يمكن أن يمارسه كل أحد، وبين القنص الذي يمارسه القادرون والمهرة، لما تنطوي عليه كلمة القنص من شدة ودقة في التصويب والرمي، (القانص الماهر أو الرامي يسمى البواردي) والاستعداد للمطاردة والمغامرة في الصحاري والأماكن البعيدة المفتوحة. فرحلات القنص تتطلب استعمال الجوارح والضواري، إضافة إلى الأسلحة الحديثة ووسائل النقل السريعة كالسيارات المجهزة للقنص، حيث تعني

كلمة القنص عندهم الأخذ كما تخـتطف الجارحة الصيد. وهم يرون لكلمة القنص وقعاً شـديداً في النفـس يدل على القـوة والأنفة والرجولة، فالصياد في مفهـومهم أحياناً قد يكون صياد السمك مثلاً. وهو غير القنّاص الذي هدفه صيد الجوازي كالمها والوعول، وربما النمور والأسود.

ارتباط العرب بـالصيد. ولقد ارتبط العرب بالـصيد ارتباطاً وثيقـاً منذ زمن بعيد. وكان لهم فيه شغف وباع طويل في الجاهلية، واستمر ذلك بعد إسلامهم حتى يومنا هذا. فجلُّهم كـانوا ممارسين للصيد والقنص، مـغرمين به، إما لسد رمقهم، وإشباع حـاجتهم إلى اللحم، أو لغرض التمتـع والهواية. لذلك ورد ذكر الصـيد والقنص كثـيراً في التراث العـربي، شعـره ونثره وأمـثالـه، منذ الجاهلية، وعبر عصور الإسلام المختلفة، إلى زمننا الحاضر.

ولعل ارتباط العرب القدامى بالصيد جاء من أنهم كانوا أمـة متبدية، تعيش في جزيرتها عيشة الإملاق. ومن طبيعة أهل الوبر، إذا أملقوا، أن يعتمدوا في عيشهم عـلى الصيد، وأن يتخذوا مـن الحيوان مادة حـياتهم الأولى، فيقـتاتوا بلحـمه إذا عضهـم الجوع، ويصطـلوا بعظمه إذا مسهم البرد، ويستنيروا بدهنه إذا أظلم عليهم الليل، ويتخذوا من أوباره وأشعاره غـطاءً وكساءً، ويـجعلوا مـن جلوده بـساطاً وسقاءً. وكانـت العرب تعلي من شـأن القنص، وتمدح الرجل بأكله من صيد يده، وتعد ذلك آية على أنفته، ولم يكن الصيد عند عرب الجاهلية وسيلة من وسائل الرزق فحسب، وإنما كان متعة مـن متع النفس، وضرباً من ضروب الحرب في أيام السلم، وهم أشد ما يكونون حاجة للرزق والمتعة والتدرب الدائم على الـقتال. لذلك أقبلوا علـى

جفاف الجزيرة العربية، دفع سكانها إلى اتخاذ الصيد مصدراً للطعام حتى عهود قريبة

الصيد إقبالاً كبيراً، فطعموا من جوع حين أكلوا لحوم الطرائد، واكتسوا من عري حين ارتدوا جلودها وأوبارها، وأمنوا من خوف حين قتلوا الحيوانات التي تهدد حياتهم وتروع ماشيتهم. ولم يقتصر الصيد عند العرب على ذوي الفاقة، وإنما مارسه الأغنياء والفقراء، وأولع به السادة والسوقة (الباشا ١٩٨٣: ٢٣-٢٥).

وأسباب هذا الولع والشغف هي ما يجده الصائد في القنص من متعة، وما يحسه فيه من لذة، قلما يلقى لها نظيراً في غيره من الهوايات. فقد أجمع أهل النظر على أن الصيد ألذ ما عرفه الإنسان من الصناعات، وأجله وأطيبه وأقربه إلى طبيعة الإنسان، ولا فرق في الاستمتاع بالصيد بين العظماء والدهماء، وليس هو، كما يزعم بعض الزاعمين، أنه ضرب من ضروب الترف، وباب كبير من أبواب اللهو، يسلكه الملوك وذوو السلطان مع أرباب البطالة، فيفنى أعمارهم فيما لا ينفع. فهو للملوك والقادة يذهب بهمومهم، ويكفهم عن المحرمات، ويتيح لهم اللذة المباحة. ولذا قيل «قلما يعمش ناظر زهرة، أو يزمن مبتغي طريدة». ثم إن أشرف الغذاء وأسرعه هضماً اللحم، وأفضل اللحوم ما استهوته الشهوة. وليس هناك أدعى للشهوة، وأسرع في الهضم، من لحم الصيد المطرود المكدود، لأن ذلك ينضجه ويهرئه. «وكان الحكماء إذا أعوزهم لحم الصيد، أمروا بإتعاب الحيوان المأكول وكدّه، وذبحه عقب ذلك، فيكون أسرع لنضجه، وأطيب للحمه» (الزبيدي ١٩٨٥: ٩).

ويُميِّز السويداء (١٩٩٣) بين صائد المتعة، وصائد الحرفة، وصائد الضرورة، فالأول لا يتعب نفسه لدرجة ترهقه، بل يقضي فيه متعة يومه أو عدة أيام يعود بعدها للراحة لفترة، قد تطول أو تقصر، ثم يعاود من جديد، بعد أن يكون قد استراح راحة تامة، وهذا شأن ذوى الهواية والمتعة، أما الصائد الحقيقي المحترف، فهو الذي إما أن لقمة يومه من الصيد، أو أنه يبيع الصيد، أو يهديه ليحصل بالمقابل على ما يقضي به متطلبات حياته الأخرى. وهذا الصنف يكون مولعاً بالصيد ويجد لذة في طرده وصيده، وقد تسوء صحته وينحل جسمه، وتشقق أطرافه من البرد وخشونة الأرض التي يطأها دون أن يعلم بنفسه، وهو يحتال أو يطارد صيدته، وقد تتشقق قدماه وتحفى ويدوس الأشواك وتدمى قدماه وتتجرح، وهو ذاهل نفسه خلف صيدته أو طريدته، وقد يصل إلى درجة

تقرب من الهلاك من الظمأ، وربما تمزقت ثيابه، إما من الأشجار التي يمر بها، أو من الصخور التي يزحف عليها، ويجتازها وهو يخاتل صيدته أو بفعل مداعبة ومناوشة كلابه، أو صقوره وجوارحه. هذا هو الصياد الحقيقي الذي يذوق مرارة ما يعاني في سبيل الصيد، لكنه يعدها متعة وأي متعة. وقد صور الراعي النميري عينة من هذه الفئة من الصيادين بقوله:

وصاد أطلس مشاء بأكلبه
إثر الأوابد ما ينمي له سبد
أشلى سلوقية باتت وبات بها
بوحش إصمت في أصلابه أود
يدب مستخفياً يفشي الضراء بها
حتى استقامت وأعراها له الجرد
فجال إذ رعنه ينأى بجانبه
وفي سوالفها من مثله قدد
ثم ارفأن حفاظاً بعد نفرته
فكر مستكبراً ذو حربة حرد
فذادها وهي محمر نواخذها
كما يذود أخو العمية النجد
حتى إذا عردت عنه سوابقها
وعانق الموت منها سبعة عدد
منها صريع وضاغ فوق حربته
كما ضغا تحت حد العاطل الصرد
ولى بشق حماد الفرد مطلعاً
بذي النعاج وأعلى رقة جسد

أما الأخطل فقد وصف الصائد بصورة أخرى حين قال:

حتى إذا الشمس وافته بمطلعها
صبحه ضامر غرثان قد نحلا
طاو أزل كسرحان الفلاة إذا
لم تؤنس الوحش منه نبأة ختلا
بشلي سلوقية غضفا إذا اندفعت
خافت جديلة في الآثار أو ثعلا
مكلبين إذا اصطادوا كأنهم
يسقونها بدماء الآبد العسلا
فانصاع كالكوكب الدري جرده
غيث تقشع عنه طال ما هطلا
حتى إذا قلت نالته سوابقها
كرعيها وقد أمهلنه مهلا
فظل يطعنها شزراً بمفولة
إذا أصاب بروقاً ضارياً قتلا

وهذا أوس بن حجر رسم للصياد صورة بائسة تتجلى فيها كل معاني الشقاء، تستدر العطف والرأفة، فهو ظمآن، قد استبد به التعب إلى حد الإعياء، فغارت عيناه، يقضي نهاره في الشمس المحرقة، فيشقق لحمه ويسود بشرته هبوب الرياح اللافحة والسمائم القاسية، قد شغله الصيد وأبعده عن أية زينة، وهو ليس بالضخم

القصير، قد خشنت أنامله، يقهره على ملازمة قترته (والقترة ما يجعله الصائد ليستتر به عن الصيد) يفعل ذلك كله خوفاً من الجوع والهزال، إن لم يصب لحم صيد:

صد غائر العينين شقق لحمه
سمائم قيظ فهو أسود شاسف
أزب ظهور الساعدين عظامه
على قدر شثن البنان جنادف
أخو قترات قد تيقن أنه
إذا لم يصب لحما من الوحش خاسف

وقال الطرماح:

ومستأنس بالقفر راح تلفه
طبائخ شمس وقعهن سفوع
تنشف أوشال النطاف ودونها
كلى عجل مكتوبهن وكيع
يبل بمعصور جناحي ضئيلة
أفاويق منها هلة ونقوع
كما بل مثنى طفية نضح عائط
يزينها كن لها وسفوع

ومستأنس بالقفر: يريد به الصائد الذي يعيش في القفر، طبائخ الشمس: سماؤها وحرها في الهواجر، واحدها طبيخة، السفوع: من سفعته الشمس والسموم، إذا لفحته فغيرت لون بشرته وسودته، الأوشال: بقية الماء تتحلب من جبل أو صخرة قطرة قطرة، النطاف: جمع نطفة وهي الماء القليل، الكُلى (جمع كلية): جلدة مستديرة مشدودة إلى العروة، وقد خرزت مع الأديم تحت عروة المزادة، عِجَل: قرب الماء، مكتوبهن: خرزهن، الوكيع: الغليظ المتين، معصور: لسان يابس عطشاً، جناحا ضئيلة: شفتا لهاته، أفاويق (مفردها فيقه): دفعة المطر، أو ما يجتمع في ضرع الناقة بين الحلبتين، يعني أنه يشرب ويبل فمه مرة بعد مرة، طفية: خوصة شجر المقل، عائط: الجارية التي لم تحمل، الكن: الستر، سفوع (مفردها سَفْع): الثياب، ومثنى طفية: البيت مبني بالأغصان.

ويضع امرؤ القيس الصيد والقنص في مستهل وجوه لهوه ومتعته فيقول:

كأني لم أركب جواداً للذة
ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الرويِّ ولم أقل
لخيلي كري كرةً بعد أجفال

ومن كلف العرب بالصيد أنه أذهل ملوكهم عن شئون رعيتهم. فهذا عمرو بن هند، أخو قابوس بن هند، كان له يوم نحس ويوم نعمى، فيومٌ يركب في صيده يقتل أول من لقي، ويومٌ يقف الناس ببابه فإن اشتهى حديث رجل أذن له. وهجاه طرفة مرة مشيراً إلى ذلك فقال:

رسوم صخرية للحيوانات التي كانت تصاد في الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام

قسمت الدهر في زمن رخيّ
كذاك الحكم يقصد أو يجور
لنا يوم وللكروان يوم
تطير البائسات ولا نطير
فأما يومهن فيوم نحس
تطاردهن بالحدب الصقور
وأما يومنا فنظل ركباً
وقوفاً ما نحل ولا نسير

ومن هذا القبيل ما رواه الأصفهاني عن النعمان بن المنذر، أنه كان يتصيد مع أبيه. وعندما تكون الحياة ذكرى، والذكرى صيد وجني ثمر، يحن عروة بن الورد بشوق ولهفة إلى أماكن محببة إليه منها مدافع ذي رضوى وعظم وصندد:

وما كان منا مسكناً قد علمتم
مدافع ذي رضوى فعظم فصندد
ولكنها والدهر يوم وليلة
بلاد بها الأجناء والمتصيد

وبلغ شغف العرب بالصيد حداً جعل محمد بن بشير الخارجي يستغله ويتخذه وسيلة يشاغل بها بعضهم، لينصرف سليمان بن الحصين إلى الحديث مع نسائهم، وفي ذلك قال الخارجي:

يرمون أحور مخضوبا بغير دم
دفعاً وأنت وشاحاً صيدك العلق
تسعى بكلبين تبغيه وصيدهم
صيد يرجى قليلاً ثم يعتنق

وقال الأخطل:

ظل الرماة قعوداً في مراصدهم
للصيد كل صباح عندهم عيد
مثل الذئاب إذا ما أوجسوا قنصاً
كانت لهم سكتة مصغ وملبود

وهناك قصيدة للحطيئة يذكر فيها أهمية الصيد في إكرام الضيف عندما يحل الضيف، على إنسان معوز فقير حيث يقول:

فبينا هم عنت على البعد عانة
قد انتظمت من خلف مسحلها نظما
عطاشى تريد الماء فانساب نحوها
على أنه منها إلى دمها أظما
فأمهلها حتى تروت عطاشها
فأرسل فيها من كنانته سهما
فخرت نحوص ذات جحش سمينة
قد اكتنزت لحما وقد طبقت شحما
فيابشره إذ جرها نحو قومه
ويابشرهم لما رأوا كلمها يدمى
فباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم
وما غرموا غرماً وقد غنموا غنما
وبات أبوهم من بشاشته أباً
لضيفهم والأم من بشرها أما

ومن قصيدة للشمردل بن شريك اليربوعي التميمي يصف فيها الصياد نفسه:

بها ساهر الليل عاري العظام
عرى لحمه أنه يدأب
قليل السوام سوى نبله
وقوس لها وتر محذب
فلما شرعن رمى واتقى
بسهم ثنى حده الأثأب
فحصن فثار على رأسه
من القاع معتبط أصهب
فكاد بحسرة ما فاته
يجن من الوجد أو يكلب

وقال محمود سامي البارودي عن الصيد:

فملنا إلى واد كأن تلاعه
من العصب موشي الحبائك مذهب
تراح بها الآمال بعد كلالها
ويصبو إليه ذو الحجا وهو أشيب
فبتنا نرود الأرض بالعين إذ رأى
ربيبتنا سرباً فقال ألا اركبوا
فقمنا إلى خيل كأن متونها
من الضمر خوط الضيمران المشذب
فلما انتهينا حيث أخبر أطلقت
بزاة وجالت في المقاود أكلب
فما كان إلا لفتة الجيد أن غلت
قدور وفار اللحم وانفض مأرب

الصيد والقنص في الإسلام. أحل الله سبحانه وتعالى الصيد، فقال في كتابه الحكيم ﴿يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم االله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾ (المائدة آية: ٤) وقال عز وجل ﴿يأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب

فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ (المائدة: ٤). وقال تعالى ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارةِ وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ (المائدة: ٦).

وقد تواترت الأحاديث النبوية الشريفة التي توضح حلال الصيد من حرامه. فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله إنَّا بأرض قوم أهل الكتاب أنأكل في آنيتهم، وبأرض صيد أأصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم، فما الذي يصلح لي؟ قال: أما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها، وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه، فكل. وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل. وما صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل» رواه البخاري في الذبائح.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله إنا نرسل الكلاب المعلمة، قال كل مما أمسكن عليك، قلت وإن قتلن؟ قال: وإن قتلن. فقلت: يارسول الله إنا نرمي بالمعراض، قال: كل ما خزق، وما أصاب بعرضه فقتل فلا تأكل، فإنه وقيذ. رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي ثعلبة رضي الله عنه قال: قال ﷺ إذا رميت بسهمك فغاب عنك فأدركته فكله ما لم ينتن رواه مسلم.

وعن عدي رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله، أرأيت أحدنا إذا أصاب صيداً وليس معه سكين، أيذبح بالمروة وشقة العصا؟. فقال: أمرر الدم بما شئت واذكر اسم الله. رواه أبو داود.

وعنه رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ ما عَلَّمْت من كلب أو باز ثم أرسلته، وذكرت اسم الله، فكل مما أمسكن عليك. قلت وإن قتل قال إذا قتل ولم يأكل منه شيئاً فإنما أمسكه عليك. رواه أبو داود.

وعنه رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله أرمي -يعني الصيد- فأجد فيه من الغد سهمين. قال: إذا علمت أن سهمك قتله ولم تر فيه أثر سبع فكل. رواه أبو داود في الذبائح.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها سأله الله عز وجل يوم القيامة عن قتله. قيل: يارسول الله وما حقها؟ قال: أن تذبحها وتأكلها ولا تقطع رأسها فترمي بها.

وعن أنس رضي الله عنه قال: أنفجنا أرنباً بمر الظهران، فسعى القوم عليها فغلبوا فأدركتها فأخذتها، فأتيت بها أبا طلحة فذبحها، وبعث إلى رسول الله ﷺ بوركيها وفخذيها فقبله. رواه البخاري.

وعن محمد بن صفوان رضي الله عنه أنه صاد أرنبين فذبحهما بمروتين وأتى بهما النبي ﷺ فأمره بأكلهما.

بعض من مارس الصيد من العرب.

أورد الزبيدي، في كتابه انتهاز الفرص في الصيد والقنص، ذكر من قنص من الأنبياء والخلفاء والملوك والأمراء والوزراء وغيرهم على النحو التالي:

الأنبياء والصحابة: ممن كان لَهِجاً بالقنص والصيد أبو العرب نبي الله إسماعيل بن إبراهيم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام. وممن بلغنا أنه كان يصيد من الأنبياء سليمان بن داود عليهما السلام، وأن الحدأة كانت من جوارحه. قال: وإنما امتنعت من أن تألف أو تملك كأنها من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده. قال: ولو كانت الحدأة مما يصطاد بها لما كان في الكواسب أحسن صيداً منها، ولا أجل ثمناً. وممن روي عنه من الصحابة أنه كان يصيد حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ورضي الله عنه، وأنه كان مولعاً بالصيد، وكان إسلامه رضي الله عنه وهو منصرف من صيده، وعلى يده صقر فقالت له امرأة لما رجع من قنصه: ياعم لو رأيت أبا الحكم - تعني أبا جهل بن هشام- ما صنع بابن أخيك، فمضى على حالته، وهو معلق قوسه بكتفه حتى دخل المسجد الحرام، فلقي أبا جهل فعلى رأسه بالقوس، أي ضرب رأسه به فشجه، ثم قال: ديني دين محمد. ومن الصحابة أيضاً أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه. كان مولعاً بالصيد لَهِجاً به، وكان كثير السؤال للنبي ﷺ عما يحل ويحرم من الصيد. ومنهم عدي بن حاتم رضي الله عنه، فإنه احتفل بالصيد، وكان كثير الحديث للنبي ﷺ عن أحكام الصيد، وما يحل وما يحرم منه. ومنهم أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

الملوك القدامى: ومن ملوك العرب القدامى ذو يزن الحميري، وولده سيف بن ذي يزن. قال اليافعي في تاريخه: إنه لما ملك اليمن اتخذ من ملوكها الأحبوش خدماً، فخلوا به في متصيد له فزرقوه بحرابهم فقتلوه. ومنهم المنذر ملك الحيرة (هم ثلاثة مناذرة ملكوا الحيرة منهم المنذر بن الحارث). ذكره الفقيه عبدالله بن محمد النجراني في آفاق المحاضر وهو كتاب جليل جمع فيه من

كل فن وذكر له حكاية، وهو أنه وقف على رابية وهو في الصيد فقال له رجل: أبيت اللعن لو أن رجلاً ذبح على هذه الرابية إلى أي موضع كان يسيل دمه. فقال: أنت والله المذبوح لننظر ذلك فذبح. ومنهم الحارث بن معاوية بن ثور كندة، من كندة القبيلة المشهورة، وهو أول من صاد بالصقر. ومنهم ابن عبد الكلال ملك العرب. ذكره محمد بن ظفر في خير البشر بخيرة البشر ﷺ. وذكر أنه غزا غزوة فقفل بغنايم عظيمة، فوفد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها ففرق فيهم أكثرها، ثم أنه ذهب يصيد فأوغل في طلب الصيد، وانفرد عن أصحابه فرفعت له أبيات وقد لفحه الهجير فقصد بيتاً منها، فبرزت له عجوز، فقالت: انزل بالرحب والسعة والأمن والدعة، فنزل، ثم نام فلما جلس مسح عينيه، وإذا بين يديه فتاة لم ير مثلها جمالاً فقالت له: أبيت اللعن أيها الملك الهمام، هل لك في الطعام. ثم قدمت إليه ثريداً وقديداً وحَيْساً فأكل وسقته فشرب، وجعل يتأملها مقبلة مدبرة، فملأت قلبه هوى، وكانت كاهنة فأخبرته عن رؤيا كان هو رآها تدل على خروج النبي ﷺ، وحققت له ذلك. فقال لها إلى ما يدعونا فقالت إلى صلاة وصيام وصلة أرحام، وكسر أصنام، وتعطيل أزلام، ثم نهض الملك وركب فرسه ومضى.

الخلفاء: وأما الخلفاء فمنهم معاوية بن أبي سفيان #. ومنهم يزيد ابنه كان لهجاً بالصيد مولعاً به في زمن أبيه. ومنهم سليمان بن عبد الملك بن مروان، ومنهم هشام بن عبد الملك بن مروان، ومنهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.

ومنهم بنو العباس وأولهم أبو العباس السفاح. ومنهم أخوه المنصور وركب في صدره مشهَّرة مشمراً كمه على يده بازي، حتى عبر جسر بغداد، وانكفأ راجعاً فعبر الآخر فلما رجع إلى مجلس ملكه، قال للربيع ما قال الناس في ركوبنا على هذه الحالة؟ قال: عجبوا يا أمير المؤمنين قال: إنه كان في ذلك مذهب، وهو أنه سيأتي من أبنائنا من يحب الصيد والتبذل فيه، فأحببت أن يكون مني مثل ما رأيت فمتى فعله منهم فاعل، قال الناس قد فعله المنصور. ثم ابنه المهدي، مع ما كان فيه من الحذر والتحفظ من الهزل والتبذل، فكان مشغوفاً بالصيد لا يكاد يتركه. قال بعض شعرائه:

يغدو الإمام إذا غدا
للصيد ميمون النقيبه

فيؤوب ظافرة جوا
رحه
وأكلبه الأريبه
بمخالب وبراثن
بدماء ما اقتنصت خضيبه
وسهامه لوحوشه
والطير قاصدة مصيبه
وكأنما عرفته فانه
قادت لدعوته مجيبه

ثم ابنه هارون الرشيد. ثم ابنه الأمين. ثم المأمون. ثم أخوهما المعتصم. ومنهم الواثق بالله هارون بن المعتصم. ومنهم المتوكل على الله جعفر بن المعتصم. ومنهم المعتز بالله، الزبير بن المتوكل على الله. ومنهم المعتمد على الله أحمد بن جعفر المتوكل على الله. ومنهم المعتضد بالله أحمد بن الأمين الموفق طلحة بن جعفر المتوكل على الله. ومنهم المكتفي بالله علي بن أحمد المعتضد، ذكره كشاجم قال: ولم يتأخر المكتفي عن مثل أبيه في الصيد إلا أنه كان مشتهراً بالفهود والعقبان فقط وهما سبعا الضواري ويباشر ذلك بنفسه. ومنهم المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر بالله.

الملوك المسلمون: وأما ملوك الإسلام فمنهم إبراهيم بن أدهم الصالح (من الصوفية الصلحاء من أهل بلخ ورحل إلى عدة مدن توفي سنة ١٦١هـ)، المشهور، كان يتصيد أيام مملكة أبيه. ومنهم ملك شاه جلال الدولة السلجوقي (هو أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان من ملوك ما وراء النهر والروم وديار بكر والشام توفي سنة ٤٨٥هـ)، صاحب الصيد الكثير الذي بنى من صيده منارة القرون. ومنهم أحمد بن إسماعيل الساماني (يقال اصطاد وحشاً وأكل من لحمه فكان سبب موته)، أحد الملوك السامانية فيما وراء النهر في ناحية سمرقند، كان كثير الصيد مولعاً به. ذكره ابن الأثير في تاريخه، وذكر أنه اتخذ أسداً يربطه كل ليلة على باب داره وهو مفتوح، فلا يخشى أحداً يقربه، فأغفل الخدم ليلة إحضار الأسد فدخل جماعة من غلمانه، فذبحوه وهو نائم في سنة إحدى وثلاثمائة. ومنهم عماد الدولة بن بويه أبو الحسن علي، أول ملك تملك من بني بويه. ومنهم أبو علي ركن الدولة بن بويه. ومنهم عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه. ومنهم عضد الدولة بن بويه.

قال القاضي أبو علي التنوخي حكى القاضي أبو بكر بن سيار الحنفي

البغـدادي من فضل أبـي العباس عز الدولة وشجاعته عجائب منها أنه يتصيد بالسباع، فقلنا له كيف تم له هذا والأسد يفترس ولا يمسك لغيره فقال أخذ أشبالاً وفصلها عن أمهاتها وغذاها بلبن الغنم وتركها مع قوم يلاعبونها، حتى نشأت، وأنست بالناس تأكل من أيديهم، وتمشي بينهم بسلاسل خفاف، حتى أن بعضهم كان يشده بقوائم سـريره، الذي يقعد عليه ولا يؤذيه، ولم يزل يعلّمُها حتى صارت تـصطاد وتمـسك، ويلحـقها الساعون ويذكي الصيد، وكان يرهب بها من يدخل عليه، وطرقه الأسد على غفلة وهو في بعض متصيداته فضربه بخشبة، وثبت يقاتله حتى لحقه غلمانه فقتلوه. ومنهـم أبو عبدالله بن سعيد بن حمدان. ومنـهم الملك أبو محمد الحسـن بن عبدالـله بن طغـج. أحد ممدوحـي المتنبـي. وأطلق ابن طـغج الباشق عـلى سمانيات فأخـذها فقال المتنبي فيه:

أمـن كـل شـيء بـلـغـت المـرادا
وفـي كـل شـأو شـأوت الـعـبـادا
فـمـاذا تـركـت لمـن لـم يـسـد
ومـاذا تـركـت لمـن كـان سـادا
كـأن الـسـمـانـي إذا مـا رأتـك
تـصـيـدهـا تـشـتـهـي أن تـصـادا

ومنهـم صاحب مصر والمغـرب، الملك العزيز بالله أبو المنصور نزار بن المنصور بن القائم ابن المهدي العبيدي. ذكره ابن خلكان في تاريخه قال: وكان بصيراً بالخيل والجوارح من الطير، محباً للصيد مغرى بـه. ومنهم ملك مصر الصالح نجـم الدين بن الملك الكامـل ناصر وكان مغرى بالشراب والصيد، فبينما هو في صيده إذ أرسل صقراً من جوارحه فحصـل الصقر صيده ونزل عليه وغفل عنه أمير شكارة (الشكارة هي وظيفة تتعلق بالطيور ورئيسها أمير شكار) فاغتاظ الملك الصالح منه، وأمر به فرمـي عن فرسه وبطح وضـرب، وكان غرضه أن يرمى ويبطح لا غير، وأن تقع الشفاعة له، وكان مهذباً عظيماً متكبراً، لا يقدر أحد من أمرائه على الإقدام عليه بشفاعة ولا غيرها، ولم يشفع في أمير شكاره أحد، وتسلسل الأمر إلى أن ضرب ضرباً كثيراً. فقال الملك الصالح: خلوا عنه، وثنى رأس فرسه وشتم أمراءه، وقال: ويل لكم، أما كان فيـكم من يشفع له فَـعَل الله بكم وصنع، وإنكم لا تصلحون لخدمة الملك، ولا يليق به خدمتكم، وقـطع صيده في نهاره، ولم يشرب ولم ينتفعوا به في يومهم.

رسم من فترة الممالك الإسلامية يصور رجلاً يصطاد

ومنهم الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكيري. ومنهم الملك المنصور عفيف الدين عبد الوهاب بن داود بن طاهر. وكان كثير التصيد.

الأمراء والرؤساء والشعراء والفرسان:

وأما الأمراء فمنهم الحجاج بن يوسف الثقفي. ومنهم أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. وذكر أنه أكثر من اشتهر باللعب بالفهود. ومنهم أبو دلف العجلي كان مولعاً بالصيد. ومنهم الأمير بجكم. ومنهم أبو دلامة صاحب البغلة التي يضرب بها المثل في العيب فقيل «أعيب من بغلة أبي دلامة». ومنهم الأمير الفضل بن يحيى البرمكي.

وأما رؤساء العرب فمنهم لقيط بن زرارة. ومنهم عمرو بن الجون الكندي ومنهم نزار بن معد بن عدنان، ذكر أنه أول من طرد الوحش على الخيل. ومنهم همام بن وبرة. ومنهم مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ومنهم أخوه طابخة ذكرهما ابن هشام عن ابن اسحاق في سيرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ. وأن اسمهما عامر وعمرو، وقال وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يرعيانها، فاقتنصا صيداً فقعدا عليه يطبخانه، وعادت عادية على إبلهما. فقال عامر لعمرو أتدرك الإبل أم تطبخ هذا الصيد فقال عمرو بل أطبخ فلحق عامر بالإبل، فجابها فلما راحا على أبيهما حَدَّثاه بشأنهما فقال لعامر، أنت مدركة وقال لعمرو أنت طابخة، فهذا سبب تسميتهما بذلك. ومنهم عدي بن زيد. ومنهم كليب بن ربيعة بن الحارث الذي يضرب به المثل في العز فيقال: أعز من كليب، واسمه وائل، وإنما لقب بكليب لأنه كان يكتع قوائم الكلب، ويلقيه في روضة تروقه، فحيث بلغ عواء الكلب كان حمى لا يرعى وكان يحمي الصيد، فيقول صيد كذا وكذا في جواري فلا يهاج ذلك الصيد. ومنهم الكسعي الذي يضرب به المثل

في الـنـدامة. ومنـهـم طرفـة بن العبـد الشاعر.

ومنهم السليك بن السلكة كان يصيد الظباء عدوا علـى رجليه، واسمه عمر بن يثربي السعدي، وكان يسبق الخيل. ومنهم وفي بن مطر. ومنهم أكيدر دومة (هو أكيدر بن عبد الملك الكـندي ملك دومة الجندل أدرك زمن النبوة). ومنهم تأبط شراً، كان وهو حدث السن، يأتي بالصيد في مزود له مثل الضب واليربوع وما شاكلهما، فتأتي أخته فتسرق ما في المزود، فلما طال ذلك عليه جعـل حية في المزود، وكان يحمل المزود أبداً تحت إبطه فلما وصل علق المزود، فأتت أخته لتسرق صيده فلدغتـها الحية، فصاحت وقالت: يا أبـتاه إن أخي تأبط شراً أي جعل تحت إبطه شراً فسمي تأبط شراً. ومنهم عامر بن عنترة، وكان له كـلاب صيد وماشية، وكان يحـسن صحبتها، فلما مـات لزمت الكلاب قبـره، حتى ماتت عنده وتفرق عنه أهله. ذكـره أبو بكر مـحمد بن خلـف بن المرزبان في كتابه الذي ألفه في فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب. ومنهم مالك بن نفيع. ومنهم أبو الأسود الدؤلـي، كان يصطاد، ومنهم أبو حيـة النميري الذي يضرب به المـثل في الكذب، ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني، ثم حكـى من كذبه أنـه قال مر بـي ظبي فرميته، فراغ عن سهمي فعارضه السهم ثم راغ، فـعارضه فـما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه. وقال رميت والله ظبية فلما نفذ سهمي عن القوس ذكرت بالظبية حبيبة لي فغـدوت خلف السهم حتى قبضت على قَذَذِهْ قبل أن يدركها. وقال إنه خرج إلى الصحراء وجعل يدعو الغربان فتقع حوله، فيأخذ منها ما شاء. فقيل له يا أبا حيّة أفرأيت إن أخرجناك إلى الصحـراء فدعوتها فلـم تأتك فما تصنع قال: أبعدها الله إذن.

ومنهم بنو حمار بن مالك بن نضر الأزدي، وكانوا عشرة، خرجوا يتصيدون فأصابهم مطـر (قيل صاعقة) فهلكوا، فَكَفَرَ أبوهم، وقال: أأعبد من فعل هذا ببني؟ ودعا قومه إلى الكفر، فمن عصاه قتله. فأهلكه الله وأخرب بلاده. ومنهم محمد بن حمير العبد الصالح المشهور. ومنـهم محـمد بن سـليمـان بن فهـد الأزدي. ومنـهم أبو عـبادة الـبحتـري الشاعر. ومـنهم يونس بن بغا الـتركي نديم المعتز بالله وثانيه في الحسن. ومنهم أبو جعـفر بن حمدون نـديم المتوكل. ومنـهم أبو علـي بن محـمد الأنباري (١٩٨٥: ٨٥-١١٠).

وسائل الصيد قديما وأدواته

ابتكر الإنسان طرقاً شتى للصيد تتناسب مع حجم الحيوان المصيد ونوعه وطباعه وخصائصه، فمنها ما هو لصيد الطيور صغيرها أو كبيرها، ومنها ما هو لصيد غير الطيور من أنواع الحيوانات الأخرى، صغيرها أيضاً أو كبيرها. وقد توصل الإنسان إلى طرق صيده هذه وطوَّرها وأحكمها نتيجة لتجاربه وخبراته، التي اكتسبها خلال رحلته الطويلة في عالم الصيد، وممارسته له قديماً باعتباره وسيلة للتعيش، والحصول على قوته من اللحم، ثم مارسه حديثاً رياضة فرسان، فيها من التحدي والمغالبة، والتعرض للمخاطر، ما يرضي غروره، ويشبع غريزته وحبه للتسلط والقهر، والغلبة والظفر. وهي نفسها أسباب الحروب التي تقع بين البشر.

وقد ابتدر الإنسان القديم ممارسة الصيد بالتصدي للمصيد، ومصارعته بقوة عضلاته حتى يقهره فيصرعه، أو يعجز عنه فيفلته، ثم لم يجد بداً من أن يستخدم عقله في الإيقاع بالمصيد، والتحايل له، بعد أن هداه تفكيره إلى حقيقة أن استخدام العقل، خير من استخدام قوة العضلات، وأن التخطيط للإيقاع بالمصيد، يوفر الجهد العضلي، ويقلل من التعرض للأخطار المحتملة، ويزيد من عدد الحيوانات التي يصطادها، فينعم بلحومها وجلودها وعظامها وفرائها.

ومن وسائل الصيد ما هو باستخدام المُكلَّب من جوارح الطير، أو ضواري السباع، وما هو بغيرها من أنواع الشراك والأحابيل والشباك، أو الرمي بالنبال والسهام والرماح والجلاهق والبنادق، أو التحايل باستخدام الصفير والغناء والبنج والمخدرات والمسكرات وإشعال النار، إلى غير ذلك مما توصل إليه الإنسان بدهائه، للإيقاع بصيده والظفر به، مهما ضخم جسمه وكبرت جثته، وعلا وزنه وزادت قوته، واحتد نابه أو فاقت سرعته. ويقول المثل الشعبي «ضرب الحصا والعصا

إناء خزفي من العهد الفاطمي يصور منظر صيد

والمرسلات حلال»، أي أن ما تقتله أدوات الصيد حلال أكله.

الرماح. وجمعه رماح وأرماح. ويطلق عليه أيضاً القناة، وجمعها قنا وقنى وقنوات، والرامح هو مستخدم الرمح. وهو من أوائل أسلحة الصيد التي صنعها الإنسان واستخدمها في منازلة أعدائه وحماية نفسه والحصول على صيده.

وقد انتشر استخدامه بشكل واسع بين بدو الصحاري في مختلف جوانب حياتهم، ويختلف طول الرمح من أربعة أذرع إلى ما يزيد عن العشرة، والطويل منها يسمى المطرح، أما قصيرها فهو المطرد، وهو الذي يستخدم في الصيد عادة. وقد يصنع الرمح من فروع الأشجار الصلبة اللدنة، مثل شجر الشوحط الذي يستخدم عادة لاستقامته وقوته. ويتخذ سنانه من أي مادة قوية حادة كقرن ثور وحشي، أو قد يصنع من ثمين الخشب ونادر أنواعه، ويكون سنانه من الصلب القوي أو الفولاذ.

ويطلق على الجسم الخشبي للرمح مسمى المتن أو العامل ويعلوه الجزء الصلب الحاد وهو السنان وقمة الرمح الخشبية هي الجبة التي تدخل في تجويفٍ أسفل السنان يسمى الثعلبة ويمسكها مسمار يمر خلال ثعلبة السنان وجبة

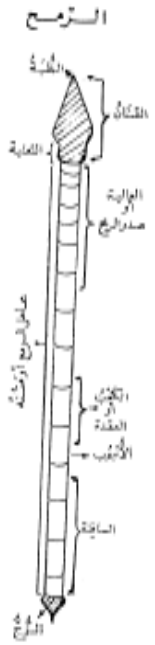

أسماء أجزاء الرمح

الرمح، ويسمى الظنبوب. وفي أسفل الرمح يوجد الزج وهو قطعة حديدية مدببة الطرف تتصل بها حلقة تسمى الزاجل. ويفيد الزج في تثبيت الرمح بالأرض، كما قد يطعن به أيضاً. والنصف العلوي من الرمح الذي ينتهي بالسنان هو عالية الرمح أما السافلة فهي نصفه الأسفل مما يلي الزج. والظبة هي القمة الحادة للسنان.

ومن أجود أنواع الرماح التي استخدمها العرب الرماح الرُّدَيْنِيَّة، نسبة إلى رُدَيْنَة وهو اسم امرأة كانت تتاجر

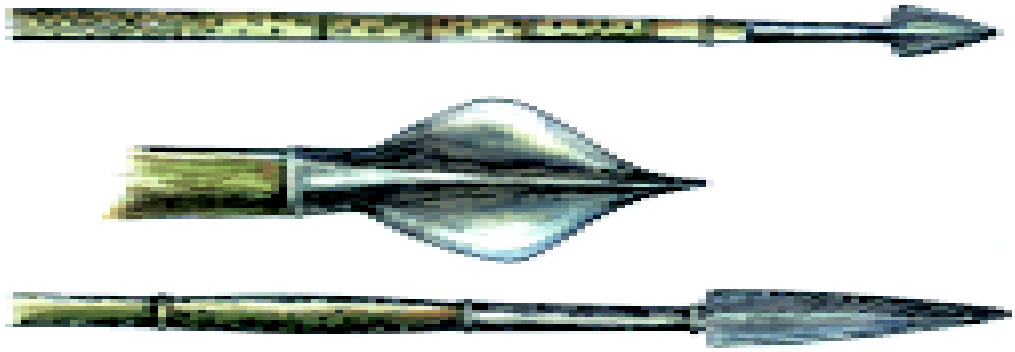

أنواع قديمة من رؤوس الرماح

بالرماح، والسمهرية نسبة إلى رجل كان يدعى سمهر، وهي لدنة طويلة حتى ليوصف القوام الطويل الرشيق القد الذي يشبه الغصن الأملود بالسمهري.

وهناك أسلحة شبيهة بالرمح لكنها أصغر منه هي الحربة ثم الألّة التي هي أصغر من الحربة وسنانها عريضة، ثم العنزة التي هي قدر نصف الرمح أو تزيد قليلاً، ثم المزراق وهو أقل من العنزة وأخيراً المِثْل الذي هو القرن المستخدم للطعان.

السهام. وترمى من القوس، واحد القِسِيّ أو الأقواس أو القياس. وهي من أقدم وسائل الصيد حتى ليقال إن آدم عليه السلام رمى بها، ومن بعده أولاده، بعد أن جاءه الروح الأمين جبريل عليه السلام بها، وعلمه الرماية. وقيل أيضاً إن أول من استخدمها هو أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، الذي علم ولديه إسماعيل وإسحاق، عليهما السلام، كيف يرميان بها. وقيل إنها نشأت في زمن نوح عليه السلام، واستخدمها هو

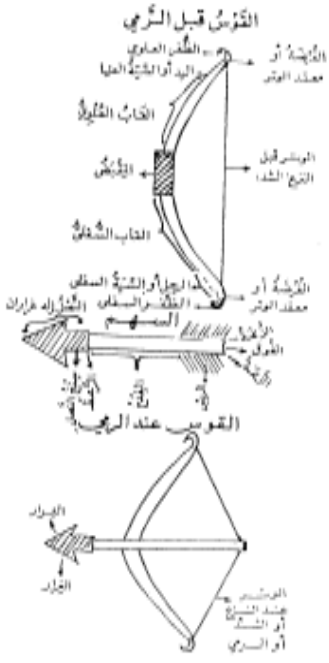

القوس والسهم

وأولاده من بعده. وقيل إن الفرس هم أول من رمى بها فمن قائل إن أول من استخدمها هو الملك جمشيد، ومن قائل إنه النمرود أو بهرام جور.

والسهام، وهي أيضاً النبال والنشاب، أعواد كل منها في طول الذراع وغلظ السبابة من الأصابع ويسمى القِدْح، يؤخذ من أعواد مستقيمة لشجر صلب قوي، هو عادة شجر النبع، فيُسوى، ويركب في قمته نصل حديدي حاد القمة له شوكات في نهايته، حتى لا يسهل نزعه إذا نشب في الضحية، ويركب في أسفله ريش في تجاويف أو فروض متوازية، تُجعل في مؤخرة السهم ويُلصق فيها بالغراء، أو يشد عليها بسير متين من الجلد، ثم يجعل تجويف عرضي في قمة مؤخرة السهم يسمى الفوق ويطلق على جانبي التجويف أو حرفيه رجلا الفوق أو زنمتاه (والمفرد زنمة). ويثبت وتر القوس في فوق السهم عند الرمي. وقد يكون للسهم ريشتان متقابلتان، أو ثلاث ريشات تتوزع حوله بانتظام، مما يهيئ للسهم الانطلاق متوازنا، ويكسبه السرعة المطلوبة وقوة الاندفاع إلى هدفه. ويؤخذ الريش المتساوي الحجم من ذنب النسر، أو العقاب، أو غيره من الطيور. وقد تؤخذ من الجناح، والذنب أفضل. ويلبس الرامي في إصبعه

رؤوس سهام حجرية من فترة ما قبل التاريخ وجدت في المملكة العربية السعودية

لفافة من الجلد تسمى الختيعة تقي إبهامه أثر القوس عند الرمي. وتحمل السهام في كنانة أو جعبة يحملها الرامي.

وتتخذ القوس من خشب شجر النبع حيث تكرر ذكر ذلك في أشعار العرب، وهو شجر صلب لدن، وذلك بطول نحو ثلاثة أذرع، ويطلق عليه مسمى البدن، ثم يقوّس، أي يجعل على شكل قوس أي جزء من دائرة. ويعطف كل من طرفيه ويشد عليهما وتر قوي مأخوذ من الجلد، أو من عصب عنق بعير كهل، أو وظيف ساقه. ويطلق على كل جزء من الجزءين الطرفيين المنعطفين اللذين شد عليهما الوتر مسمى سيَّة (والمثنى سيّان)، وقد اشتهر استخدام لفظ سيّان للدلالة على تماثل شيئين وعدم التفضيل بينهما.

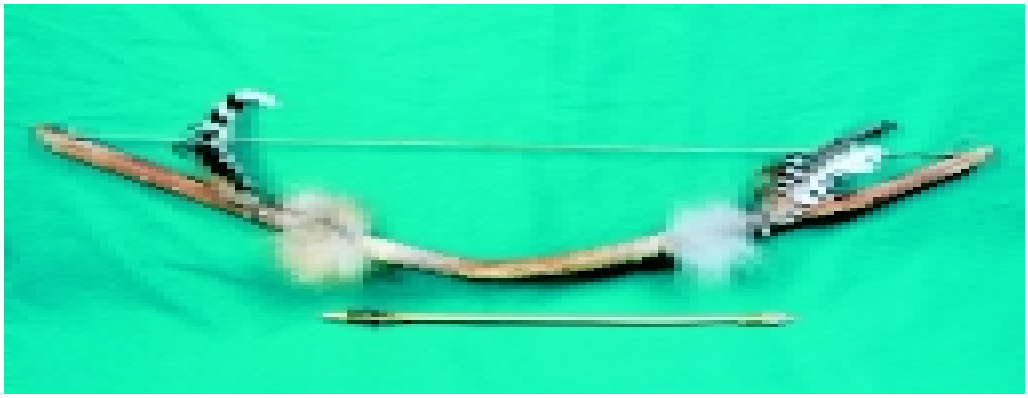

من أدوات الصيد (القوس والسهم)

ويسمى الجزء الأوسط من القوس الذي يُقْبَض عليه عند الرمي، المقبض أو المعجس أو العجس. والجزء الذي يعلو المقبض هو اليد وطولها قاب، أي أن القاب هو طول المسافة بين المقبض والسيّة. والجزء الذي يلي المقبض من أسفل هو الرِّجْل، وطولها أيضاً قاب، أي أن لكل قوس قابين، وطول القاب نحو ذراع، وكانت العرب تستخدمه كأداة قياس. وقد جاء منه قوله تعالى ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ (النجم: ٩). وتسمى الحزَّة التي يشد عليها الوتر في السيّة الفُرضَة، والجزء الذي يعلو الفُرضة من السية هو الظفر أو الكظر. ولذلك فمن الواضح أنه لما كان لكل قوس سيان، فإن له فرضتين وظفرين أو كظرين.

وتحمل القوس حمالة تشبه حمالة السيف، حيث يتنكبها حامل القوس، إذا جعل الحمالة على منكبه والقوس على ظهره، أو يتأتبها، إذا جعلها على صدره وقد أخرج منكبيه منها وجعل القوس على كتفيه.

الجلاهقة (قوس البندق). الجمع جلاهق وهو طين مضغوط مكوَّر يسمى البندق يرمى به. واللفظ معرب عن الفارسية. وتطلق الجلاهق أيضاً على قوس البندق، التي تتخذ من القنا، ويلف عليها الحرير ويلصق بالغراء، ويشد عليها وتر يُجْعَل في وسطه قطعة دائرية تسمى الجوزة، توضع فيها البندقة عند الرمى. ويشد الوتر ويترك فجأة فيقذف بالبندقة بقوة كبيرة لتصيب الهدف. ويلحق بالجلاهق كيس جلدي يسمى الجراوة يحمل فيه البندق، وهو بمنزلة الجعبة أو الكنانة من السهام. وقد استخدمت الجلاهق في الرمي على عهد الخليفة

الراشد الثالث عثمان بن عفان #، ولما اشتكى له الناس أن البندق يصيب حمامهم، منع استخدامه داخل العمران في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولم يمنعه خارجه، وإذا كان الرامي به على مهارة وخبرة فإنه يصيب هدفه بدقة كبيرة، وقلما يخيب. وأثر البندق في الصيد شديد قاتل أحياناً كثيرة.

ومما أورده الباشا أنّ كشاجم قال إنه «رأى غير واحد يقول لصاحبه إذا مرَّ الرف من الطير: أيُّها تحب أن أرميَه فأصيَبه؟، فيذكر واحداً من الطيور، فيقول له: فأيَّ موضع تحب أن أنال؟ فيعين له رأسه أو جناحه أو غير ذلك فيصيبه. وإنه رأى آخر يوقف غلاما له، ويجعل بين طرفي سبابته وإبهامه حلقة خاتمه، ثم لا يزال يرمي البندق في حلقة الخاتم، فتخرج منها دون أن تمس كف الغلام. كما روى عن بعض الثقات أنه أخبره أن رجلين من أهل البصرة كانا مولعين بالرمي بالجلاهق، فخرجا يوماً إلى بعض الأنهار، فإذا هما بأسد يساورهما، فلما أيقنا بالموت قال أحدهما لصاحبه: اكفني عينه اليمنى وأنا أكفيك اليسرى. فرمياه عن يد واحدة فأعمياه وسلما» (الباشا ١٩٨٣: ٨٦). ويشبه الرمي بالبندق أو الجلاهق، في دقته وشدة إصابته، الرمي بالبنادق الحديثة في العصر الحاضر.

وكان لرماة البندق في العصر العباسي زي خاص يمتاز بسراويل يلبسونها، ويسمونها سراويل الفتوة. ولما أفضت الخلافة إلى الناصر لدين الله العباسي، المتوفي عام ٦٢١هـ، جعل لرمي البندق شأناً، وكان يلبس سراويل الفتوة. وقد بلغ من رغبته فيه، أن جعل رمي البندق فناً لا يتعاطاه إلا الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها، على أن يكون بينهم روابط وثيقة، وجعل نفسه رئيس هذه الطائفة، يدخل فيها من شاء ويحرم من شاء. وكتب عام ٦٠٧هـ إلى ملوك الأطراف الذين يعترفون بخلافته، أن يشربوا كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها، وأن على من يرغب الانتظام في سلك هذه الطائفة، أن يأتي إلى بغداد فيُلبِسَه الخليفة السراويل بنفسه.

الزبطانة. وهناك آلة أخرى لرمي البندق أقل قوة من قوس البندق، يقال لها الزبطانة أو السبطانة وهي قطعة خشب مستقيمة اسطوانية مجوفة الداخل، كآلة النفخ أو الناي، يجعل فيها البندقة وتصوب إلى الصيد، وينفخ فيها بقوة فتنطلق وتصيبه، وأكثر ما يصاد بها الطيور الصغيرة.

الوهق. والوهق، بفتح الهاء وتسكينها، والجمع أوهاق، حبل يجدل من أشعار أذيال الخيل ويجعل في طرفه أنشوطة، ويرمى به، فتعلق الأنشوطة بعنق الطريدة وتؤخذ بها.

وأهل نهاوند وما يليها كانوا يصيدون الأسد بالأوهاق، وذلك بأن يقف على كلٍّ من جانبي الطريق أو الوادي رجل، بحيث يكونان متقابلين وفي يد كل منها وهق، فإذا مر الأسد رميا الوهقين رمية رجل واحد فيتعلقان بعنقه ويجذبانه معاً، كلٌّ منهما إلى جهته فيسقط على الأرض، يكاد يختنق، ويثبت مكانه فيؤخذ (الباشا ١٩٨٣ : ٨٧).

الزبية. الجمع زباء بالمد والقصر، وهي حفرة تعمل في طريق الصيد تغطى بخصفة أو كرباس أي ثوب خشن غليظ، ويجعل على أطرافه أحجار صغار تثقله لكيلا يُطَيِّره الريح، أو يربط بحبال لطيفة ولا تعقد وتغطى بالتراب. وتجعل الزبية عادة على مكان مرتفع من الأرض حتى لا تمتلئ بمياه السيل. ومن هنا جاء وصف السيل الشديد الغامر بقولهم «بلغ السيل الزبى» أي عمّها وطمّها كناية عن كثافته. فإذا مر على الخصفة أو الكرباس ظبي، أو حمار وحشي، أو بقرة وحشية، أو ضبع فإنها تزل به فيتردى في الحفرة. فإن كان مما لا يخاف منه الصياد نزل وأخذه، وإن كان مما يخافه فإنه يطعنه برمح، أو يرميه بسهم ليوهن قواه وينزل إليه ويذكيّه. وقد يوضع بالقرب من الزبية حيوان صغير مما ترغبه الأسود، فإذا رآه الأسد أسرع إليه ليأخذه، فيسقط في الزبية ويؤخذ.

وهناك أنواع أخرى من الحفائر التي تستخدم لصيد أنواع معينة من الحيوان مثل الكمجة لصيد الثعالب والحبالة لصيد الظباء. ومنها القترة، والناموس، والقرقوص والزرنبة، وكلها حفر أو بيوت صغيرة يتخفى فيها الصياد ويدخّن على نفسه بأوبار الإبل لئلا تنفر الحيوانات عندما تجد ريحه، ومنها يصيد الطيور، ويرمي السباع والوحش، ويرقب الشباك والشراك (الباشا ١٩٨٣ : ٩١-٩٢).

الشَرَك. والجمع شراك وأشراك، وقد يسمي الفخ، والجمع فخاخ وأفخاخ. وتصنع من الخشب أو الحديد، ويسميها البعض قاضوعة، ولها فكّان ينطبقان أحدهما على الآخر بقوة، يفتحان ويسندان بقطعة من السلك أو شظية خشب، وقد يعلق بها طعام مما يحبه الحيوان المرغوب صيده، وتوضع في طريقه، فإذا حاول الحصول على الطعام، أو مشى فوق الشرك انطبق عليه الفكان

وأمسكا به. وقد ينطبقان على رأسه فيكسران عنقه، أو على رجله فيكسرانها، أو على ظهره إذا كان صغيراً فيكسران فقراته. ومن الأشراك ما هو صغير وكبير، بما يناسب حجم الحيوان المرغوب صيده وقوته، وقد عنى الشاعر الشرك في قوله:

فإن كنت لا أرمي الوحوش فإنني
أدُسُّ لها تحت التراب الدواهيا

وتعتبر الشداخة التي كان يستخدمها الأجداد في الصيد من الأشراك، وهي تصنع من خشب الأثل، وتربط بحبل ويقوم بصنعها النجار الشعبي.

الشبكة. والجمع شباك وشبك. وتستخدم لصيد البر والبحر، وأكثر ما يصاد بها الأسماك في البحر، وكذلك الطيور. وهي حبال رفيعة، أو خيوط متينة من القطن أو الكتان أو الحرير، وتصنع حديثاً من النايلون والآلياف الصناعية، تتشابك وتتقاطع بعضها مع بعض، وتعقد لتكون عيوناً ضيقة أو متسعة، حسب نوع الصيد المرغوب، وتربط حوافها بأثقال حديدية إذا كانت لصيد البحر، أو أوتاد خشبية إذا كانت لصيد البر، حيث تشد إليها على الأرض. وتختلف الشباك عن الشراك في كونها ظاهرة غير مستورة.

وتنصب الشباك في المراعي المربعة، وفي الدروب التي تمر فيها الحيوانات الوحشية، وعند موارد المياه، ويغرى الصيد بالاقتراب منها بوضع ما يحبه من

صيد الصقور بالشباك

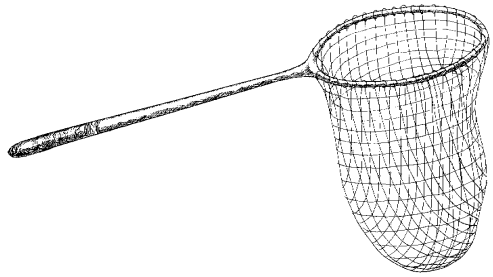

المخدجة

طعام عندها، لتقترب منها فيسقط في حبائلها، ولا يستطيع الفكاك منها. وقيل إن أول من صاد بالشبكة هو المتوكل، وقيل المعتصم. وكان للمستنجد بالله شبكة يصيد بها. وهي من أكثر أدوات الصيد استخداماً في صيد البحر من الأسماك، ولها أشكال متعددة وأحجام متفاوتة.

التدبيق. التدبيق هو عمل أعواد الدبق أو قصب الدبق. وهي قضبان من أغصان الشجر تطلى بالدبق، وهو حمل شجر في جوفه مادة شديدة اللصق كالغراء تستخرج منه وتطلى بها رؤوس الأعواد، وتنصب عند موارد المياه وغيرها من مساقط الطير، فتسقط عليها فتعلق بها، وكلما حاولت الفكاك منها ازدادت التصاقاً بها، وما يصاد بها هو صغار الطير. ويقال إن إبراهيم البازيار، وهو رجل من أهل البصرة في زمن الرشيد، هو أول من دبَّق، وكان يصيد جميع الطير بعيدان الدبق، فانتشر خبره حتى بلغ الرشيد فضمه إليه ورفع منزلته لمعرفته بالصيد وخبرته به. يقال دَبَق فلان الطير ودبّقه تدبيقاً أي صاده بالدبق.

الزِّيقة. ويصاد بها الحمار البري (الفرا). وهي أن تؤخذ سلة تسع رأس الحمار ويجعل في عرضها طعام يحبه مثل الذرة وغيرها. وتعمل زيقة -تشبه الأنشوطة- على قدر فم السلة تنخرط وتربط بحبل قوي من السَّلَب أو القنب لا يقوى الحمار على قطعه، ويربط في أصل شجرة أو صخرة كبيرة أو وتد عظيم. فإذا أدخل الحمار رأسه في السلة مرت في الزيقة، وبعد أن ينتهي من أكله، ويرفع رأسه ينخرط الحبل على حلقه ويكاد يخنقه، ولا يستطيع منه الفكاك فيسرع إليه القناص، ليقيده ويفك الحبل عن عنقه قبل أن يخنقه، أو يذكّيه ليحل أكله. وهناك نوع من الزيقة يعمل للهر للإمساك به.

المفقاس. هو فخ يتخذ من الطرف الدقيق الطري من جريدة النخلة. يربط في أعلاه خيط يمتد حتى ينفذ بتان منه في ثقب أسفل الجريدة، ويعقد الخيط عقدتين إحداهما قبل الثقب والأخرى في طرفه بعد الثقب وينفذ في كل عقدة

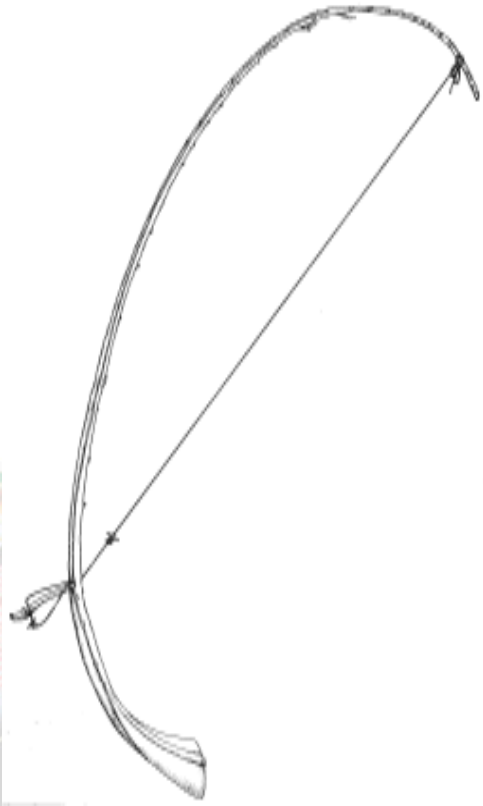

المقفاس

عويد يمنع الخيط أن يتجاوز مداه. وينصب الفخ بأن يغرس الجزء المتين منه على جدول الماء إلى قريب من الثقب. يشد الخيط بقوة حتى تتقوس الجريدة ثم يسد الثقب، لمنع انفلات الخيط، بعود كالغصن الصغير. يفرد بَتَّا الخيط على جانبي العود، فإذا وَقَع العصفور على العود ليشرب من الماء سقط العود فتحرر الخيط فتجذبه الجريدة بقوة ثم يطبَق بَتَّا الخيط على رجلي العصفور.

الحيل. تحايل الإنسان ما وسعه التحايل، وتفنن في إيجاد الطرق التي تسهل عليه صيد الطرائد التي يشتهيها بأقل جهد ممكن، فقد ورد في كتب البيرزة القديمة أن من ذلك الصيد بالصفير أو الغناء، وكل ما من شأنه تطريب الحيوان وإشغاله عما يدور حوله، فهناك من أنواع الصيد ما يستهويه الغناء الجميل، ويشده الصفير الحسن، وهو لا ينام ما دام مشغولاً بسماع ذلك، فإذا أراد الصيادون صيده شغله أحدهم بالصفير أو الغناء، وأتاه الآخرون من خلفه وانتظروا حتى تسترخي أذناه من انتصاب مما يدل على أنه مشغول بسماع الغناء مأخوذ به، فيلقون عليه ثوباً أو نحوه ويقيدونه ويأخذونه، أما إذا كان لا يزال منتصب الأذنين فمعنى ذلك أنه ما زال يقظاً فيكفون عنه وينتظرون غفلته (الباشا ١٩٨٣ : ٩٠). ويفعل صيادو السمك مثل ذلك بأن يتخذوا حظائر لهم، ويضربون عندها بعصى معهم ويعطعطون، فتقبل أجناس السمك شاخصة الأبصار، مصغية إلى تلك الأصوات حتى تدخل هذه الحظائر، وتحبس فيها وتمسك. وتضرب الطساس للطير وتصاد وكذلك يضرب بها للأُسْد وقد أقبلت، فتروِّعها تلك الأصواتَ

ويسهل مسكها. وكذلك تصاد الأيائل بالصفير والغناء حيث يشغلونها بها حتى تنشغل فيمسكون بها من خلفها. ويصاد الفهد بالغناء، كما يصاد به القبج بجميع أنواعه.

ومنها الصيد بإيقاد النار، ولا يكون ذلك إلا للنعام والظباء، فإنها إذا رأت النار دهشت، ولا تزال تتأملها، وتمعن النظر فيها حتى تغشى أبصارها، وتذهل عقولها وتفتر وتضعف عن الحركة، وتتسمر في مكانها، فيتمكن منها الصائد ويأخذها سهلة. ويزاد فعل النار بتحريك الأجراس، مما يذهب بلب الحيوان ويعجزه عن الحركة والشعور بما يجري حوله. ويبدو أن وسائل الصيد هذه هي وسائل تاريخية قديمة لم تعد تستخدم في الوقت المعاصر.

ومنها الصيد بالبنج والمخدرات والمسكرات حيث يجعل البنج في العجين، ويطرح في طريق الصيد، أو ينقع في الماء الذي ترده الطيور والحيوانات الأخرى، فتأكله أو تشرب من الماء، وتفقد توازنها وتؤخذ، وكذلك يستخدم الخربق، وهو نبات بري يسبب الإسهال الشديد للحيوان، فيضعف قوته ويسكن حركته، واليبروح أو اللُّفاح، وهو نوع صغير من البطيخ يشبه الأكر، يبلد وينوم، ورائحته طيبة حتى لقد سماه بعضهم تفاح الجن.

ومما تصاد به السباع العادية أن يؤخذ سمك من سمك البحر الكبار السمان فتقطع قطعاً، ثم تشرح وتكتل كتلاً، ثم تؤجج نار في غائط من الأرض تقرب منه السباع، وتقذف فيها هذه الكتل واحدة بعد الأخرى، حتى ينتشر دخان تلك النار ورائحة تلك الكتل في تلك الأرض، ثم تطرح حول النار قطع من لحم جعل فيها الخربق الأسود والأفيون، وتكون النار في موضع بحيث لا تراها فيه السباع، فتقبل مشدودة بريح تلك الكتل وهي آمنة فتأكل من قطع اللحم ويغشى عليها، فيأخذها الصيادون الكامنون لها.

وتصاد الطيور والدجاج البري بإذابة الحلتيت في الماء، ثم يجعل فيه شيء من عسل، وينقع فيه بُر يوما وليلة ثم يلقى إلى هذه الطيور، فإذا لقطته تحيرت وغشي عليها، فلا تقدر على الطيران إلا أن تسقى لبنا خالطه سمن. وكذلك يعجن طحين بُرٍّ غير منخول بخمر، ثم يطرح للطير والحجل، فإذا أكلن منه تحيرن وأخذن. وقد يوضع في مواقع الكراكي وأشباهها من الطير إناء فيه خمر، ويجعل فيه خربق أسود، وينقع

فيه شعير ثم يلقى إليهن، فإذا أكلن منه أخذهن الصائد كيف شاء. ومنها نشر الخرق السوداء في مراتع النعام ومرابعها، حتى إذا ألفتها ولم تنفر من وجودها، لبسها الصياد وكمن لها حتى يمسكها.

ويصاد البَبْر، وهو وحش ضار شديد المراس من فصيلة السنانير، بأن تسرق جراؤه، وهو بها شديد الولع وعليها عظيم الحرص، ثم تحمل في أمثال القوارير من الزجاج، ويركض بها على الخيول السوابق، فإذا أدركهم أبوهم رموا إليه بقارورة منها فانشغل بالنظر إليها وإعمال الفكر في إخراج جروه منها، فيفلت الصيادون بباقيها ويربونها فتألف وتأنس.

ويصاد العقعق بأن تنصب له شبكة ويشد فيها سنور أبلق شديد الشبه به، فإذا وقع في الشبكة تهافتت عليه سائر العقاعق وترامت في الشبكة وصيدت جميعاً.

ومن ذلك تقليد صوت الحيوانات، فالدراج يصاد بصفير يصدره الصائد ليشبه صفيره، كما يقوم الصيادون بإطلاق أصوات تشبه الأصوات التي تطلقها إناث الحيوانات، التي يريدون صيدها، في فصل التزاوج، فتسمعها الذكور، فتخرج من مراقدها متجهة نحوها فيأخذها الصيادون الكامنون لها على غرة. وقد تقلد أصوات الذكور التي تدعو بها الإناث للتزاوج، فتسمعها الذكور الموجودة في المنطقة، وتظنها ذكوراً قد اعتدت على حرمة مناطق سيادتها تروم إناثها، فتهب لقتالها، وتخرج من مكامنها، فيتلقاها الصيادون الكامنون لها. وقد طورت هذه الطريقة القديمة في العصر الحالي بتسجيل أصوات الحيوانات نفسها وإطلاقها، فيغني ذلك عن التقليد وتصبح الأصوات حقيقية (الباشا ١٩٨٣: ٢٤٥).

ومنها التخفي بأقبية اللباد، وهو شعر أو صوف كثيف ملبد، يتخذه الصيادون أكسية مضاعفة لهم تسترهم من السباع، وتقيهم أذاها، فيرتدون هذه اللبابيد ويخرجون لصيدها، ويكمنون في طريقها فإذا مرت بهم رموها بالأوهاق فتعلق بأعناقها، أو ألقوا عليها أثواباً غليظة تغطي وجوهها، وتشل حركتها، ومن ثم يمسكونها ويقيدونها ويأخذونها. وقد روي أن بعض الأعراب ألمَّ ببيت فإذا فيه عجوز فسألها: هل من قِرًى؟ فقالت: أنْظِرنا ولك الخير، فلم يلبث أن جاء ابن لها وعليه لبابيد مضاعفة، وهو يحمل نمراً عظيماً فطرحه على الأرض، وقامت العجوز فأخرجت من النار سفوداً فأولجته في إست النمر، فعج عجَّة عظيمة ثم هدأ، فكشطوه فأكلنا منه حتى امتلأنا

وبتنا في خصب. وإنما فعلت العجوز ذلك ليسلم لها الجلد (الباشا ١٩٨٣ : ٨٩) ويبدو أن ذلك قد حدث في زمن الجاهلية لأن النمر من اللواحم لا يحل أكله.

وتصاد العصافير بأبسط حيلة، حيث تؤخذ شبكة في صورة المحبرة، ويجعل في جوفها عصفور، فتنقض عليه العصافير وتدخل إليه، فما دخل منها لم يقدر على الخروج ثانية، فيصيد الرجل منها ما يشاء وهو وادع. ويصاد طير الماء بالقَرعَة، وذلك بأن تؤخذ قرعة يابسة صحيحة، فيلقى بها في الماء فتتحرك بتحرك الماء، فإذا أبصرها طير تتحرك فزع، فإذا كثر ذلك عليه أنس حتى ربما سقط عليها. ثم تؤخذ قرعة مثلها فيقطع رأسها، ويفتق فيها موضع عينين، ويدخل الصائد رأسه فيها، ويغطس تحت الماء ورأسه داخل القرعة فوق سطح الماء، ويمشي رويداً، وكلما دنا من طائر مد يده خلسة تحت الماء فقبض عليه، وغمر يده به تحت الماء وكسر جناحيه وخلاَّه، فيبقى طافياً فوق الماء يسبح برجليه، ولا يطيق الطيران، وسائر الطير لا تنكر انغماسه في الماء وسباحته فيه، فإذا فرغ الصياد من صيد ما يريد، رمى بالقرعة وجمع صيده والتقطه وذهب به.

رحلات القنص قديماً وحديثاً

شُغف عرب الجزيرة العربية بالصيد والقنص منذ القدم، ومارسوا هذا النشاط تسلية ومعاشاً، نظراً لحاجتهم الماسة إلى الغذاء.

كانت الظروف المعيشية القاسية، تضطر بعض الناس من الحضر والبدو، ممن لا يمتهنون التجارة أو الفلاحة أو الرعي إلى اللجوء إلى الصيد والقنص لتوفير الطعام والكساء لأسرهم، ولإكرام الضيف.

وكان الصيادون أو القنوص، كما يطلق عليهم عادة في اللهجة الدارجة، يخرجون بأدواتهم وأسلحتهم، فرادى وجماعات، سواء على أرجلهم أو راكبين مطاياهم أو خيولهم إلى مواقع الصيد القريبة في البر أو الصحراء، لقنص الطيور والحيوانات الصغيرة والكبيرة.

وعلى الرغم من أنهم كانوا يعرفون معنى الحماية وجدواها حيث يتجنبون الصيد الجائر، ويستثنون صيد الإناث وخاصة في مواسم التكاثر، فإنهم بسبب حاجتهم أحياناً إلى لحوم الطيور والطرائد لسد رمق من يعولونهم، كانوا في سنوات الجدب والجوع، يصيدون كل ما يصادفونه في طريقهم من صيد، فلم يكن لديهم فرصة اختيار أو انتقاء أو

رحلة صيد قديمة

توقيت الصيد، ولم يكن لديهم فرق بين الصيد الصغير والكبير، ولا بين السمين والهزيل، فالمهم هو أن يعود القانص بشيء من الصيد بدلاً من عودته إلى أهله صفر اليدين. ومع كل هذا الحرص فقد كان الصيد دائماً قليلاً، لندرة وجود الطير أو الحيوان في المناطق الصحراوية الفقيرة بالماء والنبات، ولمشقة صيده بالأدوات والأسلحة البدائية في ذلك الوقت.

وجدير بالذكر أن أولئك القنوص القدامى-من الفقراء ومتوسطي الحال- في الجاهلية، وإن كانوا يخرجون طلباً للصيد في رحلات جماعية أو حملات، إلا أنهم لم يكونوا يصطادون بطريقة منضبطة منظمة، أو بروح الجماعة، بل كان كل واحد يصيد بمفرده، مما يجعله يخفق في الظفر بطريدته، نتيجة الفوضى والعشوائية وعدم التعاون، وكان ذلك مما يجعل بعضهم يتخلف عن العودة إلى أهله خجلاً منهم، بينما يعود القانص المحظوظ بصيده إلى أهله مسروراً متباهياً بمهارته في الصيد والرمي والطرد، وكل ذلك من صفات وضروب الفروسية عندهم.

ومن ناحية أخرى، كانت هناك في الجاهلية مقابل رحلات الصيد التي تقوم بها فئة من القنوص الفقراء، رحلات صيد خاصة يقوم بها علية القوم

والأثرياء وبعض الفرسان المشهورين، حيث يمارسون الصيد والقنص هواية ورياضة واستجلاباً لبهجة النفس، ويرون في ذلك نوعاً من التباهي والمفاخرة، ودليلاً على احتمال الصعاب والمغامرة والجرأة والشجاعة. وعن هذا المعنى عبّر امرؤ القيس في معلقته في قوله:

وقد اغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكلِ

إلى أن يقول:

كأن دماء الهاديات بنحره
عصارة حناء بشيب مرجَّلِ
فعنَّ لنا سرب كأن نعاجه
عذارى دوار في ملاء مذيّلِ
فادبرن كالجزع المفصّل بينه
بجيد مُعِم في العشيرة مخولِ
فالحقنا بالهاديات ودونه
جواحرها في صَرَّة لم تزيَّلِ
فعادى عداء بين ثور ونعجة
دراكاً ولم ينضح بماء فيُغسلِ
فظل طهاة اللحم ما بين منضجٍ
صفيف شواء أو قدير معجَلِ

ولا شك أن رحلات الصيد وحملات القنص التي كان يخرج فيها السادة والأمراء والموسرون تختلف عن تلك التي يخرج فيها الفقراء، من ناحية الإعداد للرحلة والتجهيز ووسائل النقل وتوافر الزاد والأسلحة واصطحاب الخيام، ومدة الرحلة، وما إلى ذلك من لوازم ومتطلبات المتعة والسرور.

كانت رحلات القنوص الموسرين منظمة، ولها مواسمها المعروفة، أي حين يكون الصيد وفيراً وسميناً. وكانوا يستخدمون الإبل للنقل، والخيل للمناورة والطراد، وكانت أسلحتهم الحراب والقسيّ والسهام والرماح، كما كانت مدد رحلاتهم طويلة تستمر أياماً وأسابيع، وكانوا يصيدون بالصقور والشواهين وغيرها من الجوارح، إضافة إلى الصيد بالضواري (كلاب الصيد والفهود المدربة). ولم يكن جل هدفهم من تلك الرحلات أكل لحم الصيد، بل التباهي والتفاخر ببراعتهم في فنون الفروسية مثل السباق ودقة الرمي والتصويب، وكثيراً ما كان بعضهم يتحول عن صيد الجوازي (المها والظباء والوعول) إلى صيد الكواسر لإظهار جرأته وشجاعته، إذ إن صيد النمور والأسود ومطاردتها ومهاجمتها كان هدفاً رئيسياً يجلب لهم الشهرة والهيبة والاحترام بين قبائلهم والقبائل الأخرى. ومما يذكر أن حمزة بن عبدالمطلب، عم النبي عليه الصلاة

القنص على ظهور الخيل

والسلام، كانت هوايته صيد الكواسر المفترسة حتى عرف بصائد السباع أو صائد الأسود.

وقد اتصل خروج العرب في رحلات الصيد والقنص في الجاهلية ثم في الإسلام، ومن العرب تعلم الفرس هواية الصيد بالصقور المدربة، وأساليب مطاردة الصيد ثم زادوا فاستخدموا العربات التي تجرها الخيول في صيد الأسود، وكأنهم في ساحة حرب حقيقية. ومن شدة ولعهم بالصيد، صنعوا الدروع والكؤوس الذهبية وحفروا عليها صور الفرسان والمها والأسلحة المستخدمة في الصيد، فهذا أبو نواس أحد شعراء العصر العباسي يصف في إحدى قصائده كأساً فارسية، حيث يقول:

تدار علينا الراح في عسجدية
حبتها بأنواع التصاوير فارسُ
قرارتها كسرى وفي جنباتها
مهاً تدّريها بالقسيّ الفوارسُ

ونجد كثيراً من الأخبار والأشعار عن رحلات الصيد والقنص عند المسلمين في العصرين الأموي والعباسي. وكان كثير من الخلفاء والولاة وذوي اليسار يقومون بتلك الرحلات من أجل المتعة ولذة النصر التي يجدونها في الصيد والطراد. كان من عادتهم اصطحاب بعض الشعراء المشهورين بالوصف والمنادمة، مما كان يضفي على تلك الرحلات جواً أدبياً شاعرياً في أوقات الراحة واللهو بعد الصيد والمطاردة، ونتيجة لذلك شاع غرض جديد من

أغراض الشعر عرف بالطرديات، ومن أشعار المنادمة والمفاكهة ما قاله الشاعر أبو دلامة في رحلة صيد بصحبة الخليفة المهدي:

قد رمى المهديُّ ظبياً
شك بالسهم فؤاده
وعليٌّ بن سليما
ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما
كل امرئ يأكل زاده

ولا تزال تمارس في المملكة أربعة أنواع من رحلات الصيد والقنص، أشهرها وأهمها تجهيزاً واستعداداً ثلاث رحلات أو حملات هي: رحلات صيد الحباري، ورحلات صيد الظباء، ورحلات صيد الوعول. أما الرحلة الرابعة فيقوم بها البدو عادة في جماعات صغيرة وفي مناطق ضيقة لوقت قصير، ويستخدمون الصقور والكلاب السلوقية في الصيد، إضافة إلى بعض الأسلحة، ولا يكون الصيد في تلك الرحلات مقتصراً على نوع معين من الطيور أو الحيوانات وإنما يكون عاماً يشمل الطيور والحيوانات الصغيرة والكبيرة، وغالباً ما يكون النوع الرابع من الرحلات فقير التجهيز والإعداد، وهدف القنوص من الرحلة هو الحصول على لحم الطيور والحيوانات واستهلاكه في موقع الصيد، أو العودة ببعضه طازجاً أو قديداً.

وتجدر الإشارة إلى أن رحلات الصيد والقنص في المملكة قد قلت نسبياً، قياساً على ما كانت عليه في الماضي لأسباب عديدة منها:

١) أن المملكة العربية السعودية منذ عام ١٤٠٤هـ بدأت تولي عناية خاصة بالحفاظ على الحياة الفطرية الحيوانية والنباتية إذ أنشئت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، ومن جراء ذلك حددت مناطق محمية عديدة يحظر فيها الصيد حظراً تاماً، ومن هنا تقلصت المناطق المفتوحة التي كان يمارس فيها الصيد.

٢) وضعت المناطق المحمية تحت الحراسة والرقابة الشديدة، وعين عدد من الجوالة الذين مهمتهم منع الصيد في المناطق المحمية والقريبة من المدن والقرى، والإبلاغ عن كل مخالف لنظام الصيد.

٣) وضعت بعض القيود على استعمال الأسلحة الحديثة المستخدمة في الصيد، حيث جاء في المادة التاسعة من اللائحة التنفيذية لنظام صيد الحيوانات والطيور البرية ما يلي «يحظر استعمال بنادق الرش (الشوزن) وأي أسلحة أو

وسائل تؤدي إلى اصطياد أكثر من حيوان أو طير دفعة واحدة، ويجوز الصيد بما عدا ذلك مثل الصقور وكلاب الصيد» (الطريف ١٩٩٦: ٦٨).

٤) تحديد مواسم معينة يسمح فيها بالصيد ويعلن عن بدايتها ونهايتها، وذلك لايجاد الفرصة لتكاثر الحيوانات والطيور ومنع الصيد المستمر والجائر.

ولا شك أن هناك أسباباً أخرى قللت من رحلات أو حملات الصيد، هي أن الرخاء الذي عم المملكة لم يجعل القنوص بحاجة ماسة إلى لحم الصيد، ومن ناحية أخرى أن رحلات الصيد في الآونة الأخيرة أصبحت مكلفة نظراً لارتفاع أثمان صقور الصيد إلى مبالغ خيالية أحياناً، ولأن هواية الصيد اقتصرت على القادرين على تجهيز هذه الرحلات بالسيارات الحديثة والخيام والخدم، وكل ما تتطلبه هذه الرحلات من صهاريج ماء وثلاجات وأجهزة تبريد لحفظ لحوم الطرائد.

أما الصياد نفسه فأكثر ما تحدث عنه الشعراء الشعبيون في العصور المتأخرة، فذكروا شغفه بالصيد ومعاناته وإهدائه الصيد ومبادلته. قال سالم الحميد:

ياعبيد أنا صيد الخلا مشتقي به
ربيع قلبي طردهن باللواهيب
يابندقي لا تفرسين الضريبه
بس الزعل لا توسّعين المضاريب

حملة قنص

مشتقي بـه: مولع به، اللواهيب: شدة الحر، الضريبة: الصيدة، الزعل: الـغضـب. وقـال فرج بـن خربـوش الشمري:

يـاناقـل البـارود يـامهـدي الصـيد
ثـلاثـةٍ مـن دونـهـم لا تـردّه
اللـي قنص بالحـر ياكل مـن الصيد
والتـبع مـا هو مـعجـبٍ من يـهده

التبع: أردأ الـصقور، يهده: يرسـله للصيد. وقال عبدالله بن حمود بن سبيل:

بي ولـعة الصـقار عدي وتـصاويت
والا رضـيـع الديـد يـذكـر لـباتـه

ولعة الصقار: شدة ولعـه بالصيد، تصاويت: نداءه لصقره، الديد: الثدي. وقال ابن سبيل أيضا:

والـى ومـره الله يـردّه ويـثـنـيـه
أرخـى لـثامـه لـين تـبدي ثـمـانـه
ريـعت لـه تـريـيع طـيـرٍ لـراعيـه
لـى شاف نـسره وجـهـره بنـدبانـه
ومن الحـرص جوّد سبـوقه برجـليه
ومـبرقـعـه عن نـوزتـه وكفـخـانه

ريعت: عدت، نسره: العـلف من اللحـم يرفعه له، ندبـانه: مناداته له، السبـوق: رباط الطير، الـبرقع: غطاء الرأس والعينين، نوزته: قفزه، كفخانه: نزعه للطيران. وقال سلطان بن محمـد بن نمر القحطاني:

واقنص بفرخ الحـر لى صرت قانص
حـتى تـعـوّد حـايزٍ مـن حـبـارها

وقال سرور الأطرش:

لى ضاق صـدري رحت يم الخميـله
قعـدت بالمـرقاب لاجل الـضواحـي
والاه فـي عيـنـي تلـوح الجـميـلـه
وإلى الـسما مع كـل الآفاق صاحي
يوم اقـبلت ترعـى الحيا مـع مسيـله
بـدّلت عـقب الـدلبـحه بـانبـطـاح
بالـكف حسـنا عوق تيـس الجميـله
وقلـطت لـلمشـقاص جـمر ذحـاحِ

الخميله: الأرض المستـوية المنخفضة فيـها مرعـى، المرقاب: ما يـراقب منـه ويشرف، الجميله: المجموعة من الظباء، الدلبحه: سير الرجل حانياً ظهره متخفياً، الانبطاح: سحب نفسه على الأرض لزيادة التخفي، حسنا: اسم بـندقيته، قلطت: قدمت، المشقاص: حديدة معقوفة بمثابة الزناد في نوع الـبندقية أم فتيل، يـوضع بطرف هذه الحديدة التي تلامس الحوض الصغـير الذي توجد به كـمية من الملـح متصلاً عبر قناة ضيقة بالذخيرة في بطـن البنـدقية ومتى لامـست النار الموضـوعة بطرف هذه الحديدة الملح الـذي بالحوض اشتعل وانتقل لاشتعال إلى الذخيرة داخل البندقية وثارت البندقية وانطلقت القذيفة، وهذه البندقية كانت مستعملة بفعالية قبل

أم فتيل

مائة سنة وبقيت مستعملة بدرجة ثانوية إلى عهد قريب لصيد الطيور، والجمر الذحاح: شديد الاتقاد والتوهج، والذحاح من الملح: شديد التركيز، والموت الذحاح شديد الفتك.

أما البندق وهي أداة الصيد التي حلت محل النبال وصارت المفضلة على كل سلاح منذ أن انتشرت بأيدي الناس منذ أكثر من قرن مضى فقد ذكرها الشعراء وامتدحوها. قال فراج بن ريفه القرقاح القحطاني:

لي بندقٍ ما صنعها الصانع الثاني
من دقة المارت نحّال مقاضبها
أضرب بها الوعل لى جا له تهنفال
أبو حنيّه كبير الراس شايبها
ذبحت عشرٍ بها والظل ما زال
والحاديه روّحت تلثع مضاربها

دقة المارت: المارتين نوع من البنادق، مقاضبها: مقابضها، تهنفال: المشي متبختراً، أبو حنيه: يقصد قرنه المنحني، تلثغ أو تلثع: أي يخرج منها الدم.

وحينما انتشرت هذه القصيدة قال على منوالها عدد من الشعراء فتداخلت تلك القصائد وصار كل يعزو بيتاً أو أبياتاً لشاعر من الشعراء. قال العطيفي العنزي:

لي بندقٍ رميها ماضٍ له افعال
ومخضّبٍ عقبها من لفظ شاربها
عدلٍ نظرها جديده كنه ريال
كن الحيايا تلوّى في مقاضبها
يشّرتهم بالعشا من عقب مقيال
القايده مع مرد الكوع ضاربها

مخضب عقبها: من عادة بعض الصيادين أن يضع من دم الصيدة وريشها إن كانت من الطيور على جانب عقب البندقية، شاربها: فوهة قصبتها، كنه ريال: أي صاف نقي، كن الحيايا: يعني فيها نقوش كأنها الحيات، مقيال: مضي وقت القيلولة، مرد الكوع: يعني المرفق والضربة فيه تصيب القلب. وقال بشير بن عبدالله النصار التميمي:

امهات اصبعٍ للروح نزاعه
مع خطاة الولد تبعد مراميها

أم اصبع

أم أصبع: نوع من البنادق لها مثل الأصبع يحرك عند تعبئتها بالذخيرة، خطاة وخطو: بعض، الولد: الرجل. وقال خضير بن عيادة الصعيليك:

كالنبل كالبابور عجل التواثيب
كالبرق كالقبسون عجلٍ مثاره

النبل: النبال، البابور: القطار، القبسون: نوع من البنادق وهي نوع مطور من ذات الفتيل حيث استبدل بجهاز الفتيل الزناد، وقد استخدمت قبل مئة سنة ثم تحول استعمالها لصيد الطيور حتى عهد قريب حينما ظهرت البندقية ذات الخرطوش لصيد الطيور. وقال إبراهيم بن هويدي الدوسري:

يابندقي ياللي بها طمغة الريش
مسلوبة العرقوب صمعا طويله

طمغة الريش: وضع جزء من دم الصيدة وريشها على جانب عقب البندقية، صمعا: نوع من البنادق جاءت في سلسلة أنواع البنادق وهي ذات ذخيرة مفردة جاءت قبيل أو بعد ذات الأصبع.

ويختلف حجم حملات الصيد في المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي اختلافاً كبيراً. إذ نجد حملات الصيد الكبيرة ذوات الاستعدادات الخاصة التي تضم المشتركين في الرحلة من مدربين وخدم وأعوان، يقومون على الصقور والكلاب السلوقية ويعتنون بشؤونها، أما أهل البادية الذين يسكنون الصحراء فيخرجون إلى الصيد بفرق متواضعة في العدد والعدة، بل لا يتعدى ما يخرج به الصياد صقراً وكلباً أو صقرين وكلبين ورفيقاً أو اثنين. وفي العادة فإن الصقور والكلاب في هذه الحالة تعيش مع الصياد في خبائه كجزء

تحرك حملة الصيد

من أهله. وجاء في المثل الشعبي قولهم «لا بد للقناص من رفقة الكلب»، أي أنه أحد أدواته ويعني اصطحاب الرفيع للوضيع.

ومن الملاحظ في الوقت الحالي أن كثيراً من حملات الصيد الكبيرة لا تستخدم الكلاب السلوقية، لأن القنوص يعمدون إلى صيد الحباري فقط دون الأرانب. وأصبح اصطحاب الكلاب السلوقية مقصوراً على الصيادين الصغار من أهل البادية، الذين ما زالوا يقنصون الأرانب والحباري في الوقت نفسه كالسابق.

وتتشابه حملات القنص بعضها مع بعض من حيث تنظيمها والإعداد لها، والعدة واللوازم التي تحملها، والسيارات التي ترافقها. ولا يكون الاختلاف بينها غالباً إلا في الحجم وعدد الرجال والصقور والكلاب والعتاد. ففي حملات الصيد الكبيرة قد يصل عدد الرجال إلى خمسين فرداً أو يزيد. وهؤلاء تصحبهم الناقلات الثقيلة التي تحمل المؤن والخيام والمياه واللوازم من أسلحة وبرادات ومولدات الكهرباء والوقود وغيرها. وتنطلق الحملة عادة حتى تصل إلى وجهتها والمنطقة التي سيتركز فيها نشاطها للصيد والقنص، فتخيم في مركز متوسط منها بحيث تنصب فيه الخيام الكبيرة وتشغل مولدات الكهرباء للإنارة وكذلك المبردات المستخدمة لتجميد الطرائد بعد تذكيتها

القناصة أثناء رحلة الصيد ومعهم بعض الصقور واقفة على الشبة

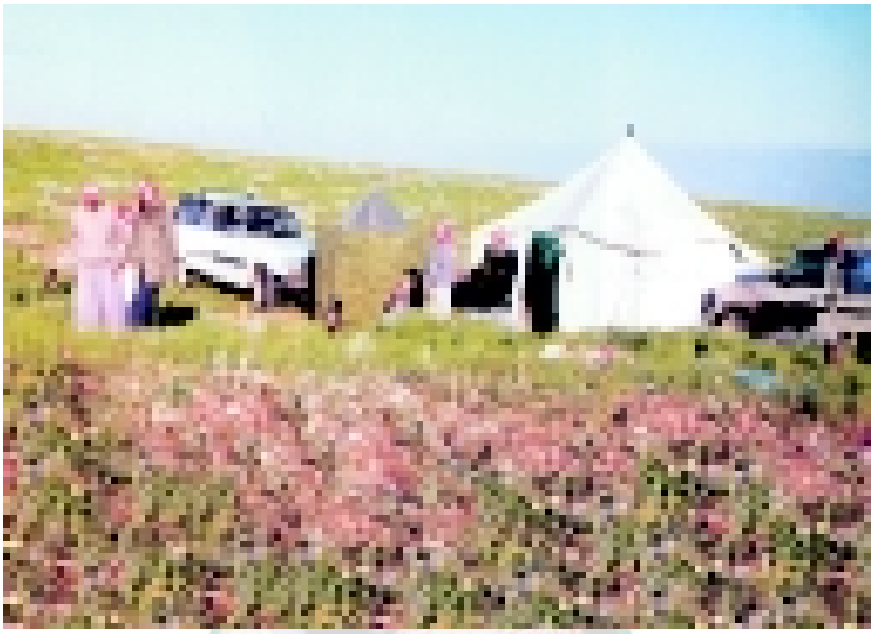

مخيم رحلة الصيد

وحفظها مجمدة، وتقف حولها الناقلات الثقيلة، ويعين لها الحراس والخدم. ويتحرك القناصون في مجموعة واحدة أو أكثر في السيارات ذات الدفع الرباعي القوية المكشوفة المجهزة بوسائل التعرف على المواقع في الصحراء، ومعهم أسلحتهم، وصقورهم يحمل بعضها الرجال على أرساغهم، وبقية الصقور تكون على الشبه في مؤخرة السيارة. والشبَّه عمود من الخشب ملفوف بالخيش توضع عليها الطيور لتجثم فوقها وهي مبرقعة، أي مغطاة عيونها بالبراقع، ومربوطة في الشبَّة التي تكون خلف الكرسي الأخير المجهز لثلاثة أشخاص، لتكون واقياً لها من الهواء عند المطاردة.

وتجوب الحملة المنطقة جرياً وراء الطرائد في دائرة يصل قطرها إلى مائة كيلومتر أو يزيد، حول مركز التخييم الذي كان يطلق عليه قديماً مصطلح

جانب من المخيم

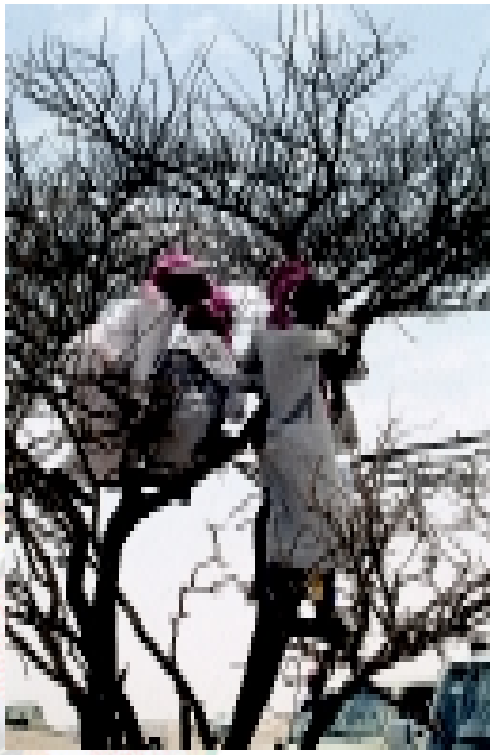

استكشاف المنطقة

العنَّه، ويسمى المخيم. ويمارس الرجال في هذه المجموعات رياضتهم ويجمعون صيدهم. وقد يمضون بعيداً عن المخيم ليلة أو عدة ليال، حيث لا يعودون إليه إلا للتزود بالوقود والمياه والمؤونة وتسليم ما تجمع معهم من صيد، ثم يعودون لممارسة الصيد من جديد. وتسمى الحملة التي يقضون معها أيامهم بعيداً عن المخيم بالعزبة حيث يعزبون إليها. وقد تستمر حملة الصيد شهراً أو أكثر. وبعض أفراد الحملة يستمرون طيلة موسم الصيد، لا يعودون خلاله إلى مدنهم وقراهم، أو قد يعودون مرة أو مرتين لفترة قصيرة، ثم يرجعون إلى الصيد مرة أخرى. وأفضل أوقات الصيد هو ما بعد الفجر وما قبل غروب الشمس، لأنها الفترة التي تمارس فيها هذه الصقور صيدها لفرائسها أصلاً وهي حرة المعيشة.

ويختلف الأمر كثيراً في حملات الصيد الخفيفة الصغيرة التي تضم بضعة رجال -وعدداً قليلاً من الصقور، أو من الصقور والكلاب- لا ترافقهم سيارات نقل كبيرة، وإنما يحملون معداتهم القليلة في سياراتهم ويرحلون من مكان إلى آخر وراء طرائدهم من الصيد، ولا يتخذون لأنفسهم مخيماً ينتشرون حوله ثم يعودون إليه.

استكشاف المنطقة

وكان الصيادون العرب قديماً يخرجون في رحلات صيدهم على ظهور الإبل والخيل، ومنهم من كانوا يخرجون راجلين ومعهم صقورهم وضواريهم. وكانوا يسلخون صيدهم ويشرِّحونه ويحفظونه قديداً. وكانت رحلات أو حملات الصيد والقنص في القديم لا تقطع مسافات طويلة، ولا يتعدى نشاطها ١٠كم في كل اتجاه، أي تغطي مساحة مائة كيلومتر مربع أو يزيد قليلاً. أما الآن ومع وجود السيارات القوية والناقلات الثقيلة، وإمكانية التزود بقدر كبير من المؤونة والوقود والمياه، ومع توافر مولدات الكهرباء والبرادات الكبيرة اللازمة لتجميد الطرائد بعد تذكيتها، فقد أصبحت حملات الصيد في المملكة تقطع القفار والوديان وتعبر الحدود إلى الدول المجاورة مثل العراق وإيران والأردن وسوريا، بل ومع توافر الإمكانات المادية انتقلت حملات الصيد الكبيرة لتمارس الصيد في بلاد أفريقية وآسيوية أخرى منها مصر والجزائر والمغرب وموريتانيا والسودان وإريتريا والحبشة والنيجر ومالي والصومال وباكستان وغيرها.